أثــر نيقـولا الأول في سياسة روسيا الخارجية١٨٥٣- ١٨٥٥

م.د. ماهــر مبــدر عبـد الكريــم

م.د. أحمـد ماجـد عبـد الرزاق

ملخص البحث

تعد دراسة الشخصيات استنارة مضيئة في التعرف الى مرحلة من مراحل التاريخ، لكون تلك الشخصيات قد اسهمت في صنع حوادث التاريخ، من هذه الحقيقة انطلقنا لكتابة بحثنا هذا لسبر اغوار شخصية كان لها الاثر الفاعل في مرحلة تاريخية مهمة في روسيا ، اذ سلطنا الضوء على السياسة الخارجية للقيصر الروسي نيقولا الاول ضمن الاطار الزماني لهذا البحث مابين عامي ١٨٥٣و ١٨٥٥، اذ اقترن التاريخ الاول للبحث ببدء حرب القرم، في حين ارتبط التاريخ الثاني لمدة البحث بوفاة القيصر نيقولا الاول.

اتسمت سياسة القيصر نيقولا الاول الخارجية بالتوسع على حساب ممتلكات الدولة العثمانية بعد ضعفها وانحلالها، الامر الذي دفعه لشن حربا عليها من اجل السيطرة على بعض المكتسبات الارضية التي تمهد له الوصول الى المياه الدافئة وفرض سيطرته على المضايق لتأمين التوسع بشكل اعمق يضمن له الوصول الى مناطق اخرى في الشرق ومنافسة الدول الاستعمارية الكبيرة، لاسيما بريطانيا وفرنسا وامبراطورية النمسا– المجر التي عارضت بشدة السياسة التوسعية التي سار عليها القيصر نيقولا الاول، اذ وقفت الى جانب الدولة العثمانية في الحرب التي شنها القيصر نيقولا الاول عليها، وذلك سعيا منها لحفظ التوازن الدولي في اوروبا، فضلا عن الحفاظ على ممتلكاتها ومستعمراتها في الشرق.

تضمن البحث مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناول المبحث الاول تمهيد تضمن مراحل حياة نيقولا الاول حتى وصوله الى السلطة في العام ١٨٢٥، وركز المبحث على أثره في حرب القرم بين عامي ١٨٥٣و١٨٥٥. وتصدى المبحث الثاني الى الموقف

الدولي من سياسة نيقولا الأول الخارجية، اذ ركز على مواقف الدول الاوروبية الكبيرة مثل بريطانيا وفرنسا تجاه سياسة القيصر نيقولا الاول الخارجية، لاسيما في مدة البحث التي شهدت اندلاع حرب القرم.

المقدمـة

نطاق البحث وأستعراض المصادر

حظيت بعض الشخصيات المهمة التي ظهرت على المسرح السياسي خلال العهد القيصري في روسيا باهتمام كبير من لدن الباحثين المتخصصين في تأريخ اوروبا الحديث، إذ سلط بعضهم الأضواء على دور تلك الشخصيات في الأحداث التي شهدتها البلاد آنذاك وأهميتها في صنع حوادث التاريخ، ومن خلال بحثنا هذا سنكشف النقاب عن الاثر الذي تركته شخصية القيصر نيقولا الاول في مجال السياسة الخارجية لبلاده في المدة بين عامي ١٨٥٣– ١٨٥٥ ، اذ أقترن العام الاول ببدء حرب القرم، فيما أقترن العام الثاني بوفاة القيصر نيقولا الاول، وتعد هذه المدة الاطار الزمني للبحث.

اعتمد البحث المنهج التحليلي في عرض الحوادث والوقائع بهدف الوقوف على المشكلات والازمات التي واجهت الشخصية (موضوع البحث) وعلى هذا الاساس اتجهت نية هذا البحث إلى محاولة سبر اغوار السياسة الخارجية للقيصر نيقولا الاول في ضوء الإجابة على السؤالات الآتية:

- هل نجح القيصر نيقولا الاول في مواجهة الدولة العثمانية ؟
- كيف استطاع القيصر نيقولا الاول ان يوازن بين سياسته الداخلية والخارجية في قرار دخوله الحرب ؟
- الى أي مدى وفق القيصر نيقولا الاول في تصحيح مسار سياسة البلاد الخارجية؟
- هل ادرك القيصر نيقولا الاول حجم السياسة الخارجية لبلاده ؟

واقتضت طبيعة الموضوع أن يقسم البحث على هذه المقدمة ومبحثين وخاتمة، تناول المبحث الاول سياسة القيصر نيقولا الاول تجاه الدولة العثمانية، اذ بدأ بتمهيـد على مراحل حياة نيقولا الاول حتى وصوله الى السلطة في العام ١٨٢٥، وأثره في حرب القرم بين عامي ١٨٥٣و١٨٥٥، وتصدى المبحث الثاني الى الموقف الدولي من سياسة نيقولا الأول الخارجية، اذ ركز على مواقف الدول الاوروبية الكبيرة مثل بريطانيا وفرنسا تجاه سياسة القيصر نيقولا الاول الخارجية، لاسيما في مدة البحث التي شهدت اندلاع حرب القرم.

اعتمد الباحثان على جملة من المصادر المتنوعة في استقاء مادة البحث، ولعل من اهمها كتاب " المسألة الشرقية " للمؤلف مصطفى كامل الذي افاد منه الباحثان في دراسة الجوانب المتنوعة للسياسة الخارجية للقيصر نيقولا الاول، وكتاب " تاريخ العلاقات الدولية (القرن التاسع عشر) ١٨١٥–١٩١٤" للمؤلف بييررنوفان، اذ وزعت معلوماته على مفاصل مهمة من حياة الشخصية (موضوع البحث) وأثرها في سياسة بلادها الخارجية، وكتاب " اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩– ١٩٥٠ " للمؤلفين جرانت وتمبرلي، وافاد الباحثان من بعض الاجزاء من كتاب " الموسوعة الاميركية " (Encyclopedia Americana) في صفحات بحثه، فضلاً عن مصادر اخرى اغنت البحث بالمعلومات الغزيرة.

وختاماً نتمنى ان نكون قد وفقنا في الايفاء بالمعلومات المهمة المتعلقة بشخصية البحث، لاسيما في مجال السياسة الخارجية ، فهذا سَعينا وأن ليس للانسان الا ما سعى، ولم يبق سوى أن نضع هذا الجهد المتواضع بين ايادٍ أمينة لقراءته وتقويمه بما يعزز بناءهُ الفكري ويزيدهُ رصانة ويجعلهُ مقبولاً، ويأخذ مكانته العلمية وقيمتهُ بين البحوث الاكاديمية الاخرى.

والله ولي التوفيق..

الباحثان

تمهيـــد: مراحل حياة نيقولا الاول حتى وصوله الى السلطة في العام ١٨٢٥

ولد نيقولا بافلوفيتش (Nicholas Pavlovich) في تسارسكوي سيلو (Tsarskoye Selo) في السادس من تموز من العام ١٧٩٦، والده القيصر باول الأول (Paul I) بن القيصر بيتر الثالث (Peter III) ووالدته هي الامبراطورة ماريا فيودروفنا (Maria Viodrofna) [١].

تلقى نيقولا رومانوف التعليم الجيد على ايدي خيرة المدرسين في القصر الشتوي. لكنه لم يظهر التفاني في دراسة العلوم، لاسيما الانسانية منها، واهتم كثيرا بالفن الحربي والهندسة العسكرية، اذ تلقى تعليمه فيها وأصبح حامل بريد كبير مهندسي الجيش ثم أصبح قائد شعبة الحراس الأولى. واشار المؤرخون الى ولع نيقولا في ايام الطفولة والشباب بالفنون التشكيلية وتلقيه الدروس في هذا المجال على يد أشهر الرسامين الروس [٢].

أبلغ الامبراطور ألكسندر الأول (Alexander I) [٣] نيقولا في العام ١٨١٩ رغبة ولي العهد قسطنطين في التنازل عن العرش القيصري، كما أبلغه بأنه سيتوجب عليه تولي واجبات ولي العهد بصفته الاخ الاكبر لقسطنطين، علماً أن قسطنطين تزوج من اميرة بولندية وليس لديه أطفال منها. وقد تنازل قسطنطين عن العرش بشكل غير رسمي في العام ١٨٢٣، لكن وفاة الكسندر المفاجئة يوم ١٧ تشرين الثاني من العام ١٨٢٤ كشفت عن الوضع المعقد في سلالة رومانوف. وأعد ألكسندر بيان وراثة يقضي بتعيين ولي العهد الجديد في العام ١٨٢٣ وأمر بأن يحفظ البيان في كاتدرائية اوسبينسكي (Uspensky) بموسكو ولا يتم اشهاره الا بعد موته [٤].

وبعد الاطلاع على محتويات البيان امتنع نيقولا عن اعلان نفسه امبراطوراً ما لم يتخل قسطنطين رسميا عن العرش، الامر الذي أدى إلى اداء رعايا الامبراطورية القسم لقسطنطين، بل أن نيقولا نفسه أدى القسم له، لكن قسطنطين بصفته امبراطوراً جديداً رفض تولي الحكم القيصري. وظل هذا الحال مستمراً لمدة ٢٥ يوماً ، ومن ثمَّ

تسبب في قيام ثورة كانون الاول التي دبرها كبار الضباط في الجيش والمثقفون في روسيا من ذوي الميول الإصلاحية، بتشجيع من اليهود، من أجل الاستيلاء على السلطة، كل هذه العوامل مجتمعة أجبرت نيقولا على تولي العرش وأعلان نفسه امبراطوراً على روسيا وعين موعد مراسم اداء القسم الجديد في يوم الرابع عشر من كانون الاول من العام ١٨٢٥، وأصبح امبراطور روسيا الخامس عشر ، الأمر الذي استغله المتمردون، اذ حاولت مجموعة من النبلاء من ذوي الميول الإصلاحية الاستيلاء على السلطة عن طريق الثورة في العام نفسه، وقد استهلّ عمله بالقضاء عليها، وإعدام خمسة من قادتها، ونفى عددا منهم إلى سيبريا (Seperia)، وأودع بعضهم السجن [٥]، حتى نعته أحد الشعراء الانكليز لقسوته بـ **((الهمجي الشرقي الضخم الجثة))** [٦]، وأتجه بذلك الى رسم سياسة بلاده الداخلية والخارجية التي سنسلط الضوء على الاخيرة منها في صفحات هذا البحث.

المبحث الاول

سياسته تجاه الدولة العثمانية

ركزت سياسة روسيا الخارجية في عهد القيصر نيقولا الاول على ثلاثة محاور: **الاول:** محاربة الدولة العثمانية، و**الثاني:** قمع الحركات الثورية في أوروبا، و**الثالث:** توسيع الإمبراطورية الروسية. اذ خاضت روسيا في عهده عدة حروب ضد الدولة العثمانية منها: حربها بين عامي ١٨٢٨– ١٨٢٩، والاخرى: حرب القرم (Crimean War) بين عامي ١٨٥٣– ١٨٥٦، وفي كلتا الحربين تدخلت الدول الغربية ولا سيما بريطانيا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية لمنع روسيا من القضاء عليها وعدم السماح لها بالوصول إلى البحر المتوسط وتهديد مصالحهم، فضلا عن ذلك كانت روسيا تدعم حركات التحرر الوطني في دول البلقان وتساندها ضد الدولة العثمانية [٧]، ومن خلال بحثنا هذا سنتناول سياسة القيصر نيقولا الاول الخارجية بين عامي ١٨٥٣و١٨٥٥.

اولاً: أثره في حرب القرم بين عامي ١٨٥٣و١٨٥٥

لاشك ان الحوادث التاريخية تحركها عدة عوامل منها مباشرة واخرى غير مباشرة، وكان من بين الاسباب غير المباشرة التي اسهمت في اندلاع حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية، هي استغلال روسيا للحركة القومية الصاعدة في دول البلقان والضغط العثماني ضد القوميين كوسيلة عملية لبسط نفوذ روسيا وتوسيع رقعتها ولذلك فقد كان هناك ضغط طويل الامد للإمبراطورية الروسية ضد الدولة العثمانية الاخذة بالانهيار في عهدها الاخير، اذ حصل تنافس كبير بين امبراطوريتي النمسا – المجر والروسية بشأن الاستيلاء على ممتلكات الدولة العثمانية [٨].

وقد استغل القيصر نيقولا الاول – قبل ذلك ـ المشاعر القومية في دول البلقان بحربه التي شنها ضد العثمانيين بين الاعوام ١٨٢٨و١٨٢٩، اذ لم يكتف بتأييد استقلال اليونان والحكم الذاتي للحرب وبعض الامتيازات التي حصل عليها

الرومانيين، بل استطاع كسب مناطق واسعة في القفقاس لصالح إمبراطوريته، فضلاً عن كسبه سمعة جيدة لها بوصفها الصديق الدائم القوي لجميع الارثوذكس والشعوب السلافية [٩].

خَشِيَ القيصر نيقولا الأوّل من تسرّب أية أفكار تقدميّة إلى روسيا، وأبدى خشيته من الثورة الفرنسية ١٧٨٩ والثورة البولونية بين عامي (١٨٣٠– ١٨٣١) الهادفة إلى التحرّر والاستقلال، لا سيما أنّ بولندا كانت وقتذاك جزءا من الامبراطورية الروسية، فكانت ردّة فعل القيصر قوية، اذ عمل على سحقها بقسوة بالغة، ولأنّه حاول قمع الحركات الثورية وخنقها في أوربا انضمّ في العام ١٨٣٣ إلى تحالف مع ملوك بروسيا والنمسا – المجر، وقطع العلاقات مع جمهورية فرنسا عام ١٨٤٨، وشارك جيشه في هزيمة الثورة في المجر (هنكاريا) في العام ١٨٤٩ وفي آسيا وجنوب شرقي أوربا، ووسّع امبراطوريته في الشرق الأقصى ووسط آسيا وكازاخستان تحت ذريعة البحث عن أسواق لتصريف الناتج الصناعي [١٠].

وبناءً على ذلك، أخفى القيصر نيقولا الاول السبب الرئيس في مسألة توسعه بذريعة حمايته للأرثوذكس، غير أن السبب الرئيس لسياسة التوسع كان الوصول الى المياه الدافئة، اذ قامت سياسته الخارجية على هذا المبدأ استمراراً لسياسة اسلافه من القياصرة الروس [١٠]، واستمر نيقولا الاول على نهجهم معتقداً بأن مسألة السيطرة على المضايق والتحكم في مرور السفن الحربية الراغبة في الدخول الى البحر الاسود تعني حماية الحدود الروسية في القفقاس وسواحل البحر الاسود، فضلاً عن ذلك فأن السيطرة على المضايق تعد وسيلة للسيطرة على العلاقات التجارية بين موانئ البحر الاسود من جهة والبحر المتوسط من جهة اخرى. وفي الوقت نفسه فأن سياسة المياه الدافئة تعني توسع الممتلكات الروسية على حساب الاراضي العثمانية سواء كان ذلك في آسيا الصغرى او في شبه جزيرة البلقان وشرقي اوروبا [١١].

وبذلك، فأن حكومة القيصر نيقولا الاول سلكت شتى السبل من اجل تحقيق تلك التطلعات، فأحيانا رفعت شعار حماية الشعوب السلافية من الحكم العثماني وشعار حماية الارثوذكس والرعايا المسيحين في الولايات التابعة للدولة العثمانية، ومن ثم مسألة السيطرة على الاماكن المقدسة في فلسطين [١٢]. ومما شجع القيصر نيقولا الاول على المضي في هذه السياسة هو ضعف الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فشنت روسيا عدة حروب ضدها وكادت تحسم المسألة الشرقية لصالحها لولا تدخل الدول الاوربية [١٣].

الاسباب المباشرة

اصدر السلطان عبد المجيد [١٤] لائحة اصلاح (خطي شريف كولخانة) [١٥] في العام ١٨٣٩ ، وكانت حالة الرعايا المسيحيين من الامور التي اشارت اليها اللائحة مما سبب قيام بعض الخصومات بين رجال الدين في بيت المقدس، اذ حصل النزاع بين رهبان ارثوذكس وكاثوليك بشأن حراسة بعض الاماكن المقدسة، وكان ذلك النزاع السبب المباشر لحرب القرم [١٦]، لذا فقد اكتسب اهمية كبيرة، فساندت روسيا رجال الدين الارثوذكس فيما ساندت فرنسا رجال الدين الكاثوليك، اذ كان النزاع بشأن كنيسة الميلاد في بيت لحم. ومن جانبها دأبت الدولة العثمانية على تحقيق شئ من الموازنة بين الادعاءات الكاثوليكية من جهة والارثوذكس من جهة اخرى[١٧].

وبعد اصدار السلطان العثماني عبد المجيد فرمان خط كولخانة الشهير الذي اشتمل على اصلاحات عديدة كانت تكفي لتقويم احوال الدولة في مدة زمنية قصيرة، فساء ذلك القيصر نيقولا الاول لان سياسته كانت تقتضي تقهقر الدولة العثمانية على الدوام، ولذلك أوعز الى المسيحيين الارثوذكس من رعايا الدولة العثمانية بمعارضة ذلك الفرمان وما يعرف بـ " التنظيمات " والعمل على ايقاف تنفيذها [١٨]. وعلى الرغم مما بذله الارثوذكس من معارضة التنظيمات الجديدة فان الحكومة العثمانية[١٩]، ابتدأت بتنفيذها واستبشر العثمانيون جميعهم بقرب فلاحها وقطف ثمارها، لكن ذلك كان من شأنه ازدياد حقد القيصر نيقولا الاول على الدولة العثمانية، فأمر باجراء

التجهيزات الحربية اللازمة واستعد لمحاربة الدولة العثمانية مؤملا اضعافها وايقافها في طريق الاصلاح [٢٠].

ولاجل اضعاف الدولة العثمانية واثارة المشكلات بينها وبين روسيا، أوعز القيصر نيقولا الاول الى القس " دانيلو " (Danilo) الذي كان حاكماً على الجبل الاسود [٢١] وتابعاً للدولة العثمانية بأن يرفع راية العصيان ضدها، ودعاه قبل ذلك للسفر الى سان بطرسبورغ، فسافر اليها وقوبل فيها باحتفاء عظيم واهداه القيصر نيقولا الاول الاموال والنياشين وحرضه ضد الدولة العثمانية حتى عاد الى الجبل الاسود ونادى اهله باسم الصليب والدين الارثوذكسي للقيام بالتمرد ضد الدولة العثمانية فلبوا نداءه وثاروا جميعهم [٢٢].

وكان للحكومة الفرنسية حق تقليدي منذ الحروب الصليبية في ادارة الاماكن المقدسة ، وفي العام ١٧٤٠ ثبتت تلك الحقوق بموجب اتفاق مع السلطان العثماني، لكن القياصرة الروس بدؤوا يطالبون بمفاتيح الاماكن المقدسة على اساس أن القيصر نيقولا الاول يعد رئيس الكنيسة الارثوذكسية، اذ انتقل اليه هذا الحق بعد سقوط القسطنطينية في العام ١٤٥٣، وفي الوقت نفسه اراد الامبراطور نابليون الثالث (Napoléon III) [٢٣] ان يعيد هذا الحق الى فرنسا في العام ١٨٥٠، اذ هدف من وراء ذلك ترضية رجال الدين الكاثوليك في فرنسا، فنجح السفير الفرنسي لافاليت (Lavallette) في الاستانة بعد مفاوضات طويلة في الحصول على اعتراف الباب العالي بمطالب الحكومة الفرنسية فأحتج القيصر نيقولا الاول على ذلك بصفته رئيساً للكنيسة الارثوذكسية، فضلاً عن ذلك فقد أدى العداء الشخصي بين القيصر نيقولا الاول والامبراطور نابليون الثالث الى ذلك الاحتجاج [٢٤].

وبناءاً على ذلك، ارسل القيصر نيقولا الاول بعثة الى الاستانة برئاسة عضو مجلس الدولة الروسي الامير الكسندر سيرجيفك مينشكوف (Alexander Sergyerich Menshikov) [٢٥] الذي عدّ من أبرز الشخصيات في البلاط الروسي انذاك، اذ كان المطلب الاساسي الذي قدمه الامير منشيكوف الى

حكومة الباب العالي هو حق حماية المسيحيين الارثوذكس في شتى ارجاء الدولة العثمانية، فضلا عن ادارة الاماكن المقدسة في بيت المقدس [٢٦].

وقد أدرك ستراتفورد دي ردكليف (Stratford De Redellif) [٢٧] (١٧٨٦–١٨٨٠) سفير بريطانيا في الاستانة قصد روسيا من وراء ذلك، فنصح منشيكوف ان تقتصر مطالبه على قضية الدفاع عن حقوق الارثوذكس دون طلب كحماية عليهم، فرفض السلطان العثماني المطالب الروسية بتشجيع من ستراتفورد ورجع مينشكوف الى بطرسبورغ (Petersburg)غاضباً، ويلاحظ ان طلب الارثوذكس لم يكن ضمن شروط معاهدة " كجك كينارجي" (Cjk Kinarja) [٢٨] وكانت حكومة فرنسا قد شجعت الباب العالي على رفض الطلب الروسي [٢٩].

وكان فشل الامير منيشكوف في مفاوضاته مع الباب العالي حدثاً بالغ الخطورة، اذ عبر الجيش الروسي – بعد هذه المفاوضات – نهر بروث (Broth) واحتل مولدافيا (Moldova) ولاشيا (Lshiya) (الافلاق والبغدان) في تشرين الأول من العام ١٨٥٣ ، فاعلنت الدولة العثمانية الحرب ضد روسيا في العام نفسه بعد فشل وساطة النمسا ولم تكن الدولة العثمانية في هذه المرة وحدها ضد روسيا بل وقفت بريطانيا وفرنسا الى جانبها، اذ اجتازت الاساطيل الفرنسية والبريطانية مضيق الدردنيل في نهاية تشرين الاول من العام ١٨٥٣ فنشبت حرب القرم [٣٠].

وأثارت نجاحات روسيا العسكرية الاستياء لدى الغرب الذي لم يرغب في زيادة نفوذ روسيا في الشرق على حساب الدولة العثمانية المنهارة، مما شكل أساساً لتشكيل التحالف بين بريطانيا وفرنسا، وأدت سياسة وزير الخارجية الروسي نيسيلرودي (Nasalroda) الى عزلة روسيا على الصعيد الدولي، ودخلت بريطانيا وفرنسا في الحرب ضد روسيا الى جانب الدولة العثمانية في العام ١٨٥٤ وقامتا بالانزال البحري في شبه جزيرة القرم [٣١].

المبحث الثاني

الموقف الدولي من سياسة نيقولا الأول الخارجية

بعد ان اسهمت روسيا في القضاء على ثورة المجر لصالح النمسا شعر القيصر نيقولا الاول بأن الوقت قد حان لحسم المسألة الشرقية [٣٢] لصالح بلاده وأن الموقف الدولي في صالحه ولكن تصرفاته كانت غير صحيحة، فقد قامت السياسة التقليدية لبريطانيا على تأييد الدولة العثمانية والوقوف في وجه روسيا لأن النفوذ الروسي في البحر المتوسط يهدد مصر والطريق الى الهند، فضلاً عن أن الصراع الروسي البريطاني كان حاضراً في آسيا الوسطى وبلاد فارس وافغانستان [٣٣].

كان القيصر نيقولا الأول قد حاول في العام ١٨٤٤ ان يعرف نيات حكومة المحافظين البريطانية، وكان قد اثار موضوع امكان انهيار الدولة العثمانية ولمح لامكان وقوع تقسيمها، وفي الوقت نفسه اكد انه لن يقوم بأي شيء يتسبب فيه، وبناءً على ذلك، اسرعت الحكومة البريطانية في تعرف ما يخطط له القيصر نيقولا الاول، وحاولت فرض السلام في المنطقة [٣٤].

وبذلك حاول نيقولا الأول التقرب من بريطانيا، اذ عمل على الاتحاد معها لاضعاف نفوذ فرنسا في الشرق واخذ الاحتياطات لتجزئة الدولة العثمانية، اذ اصبح من المستحيل على زعمه ((**شفاء رجل أوروبا المريض**))، وخوفاً من تشتت تركته بعد وفاته عرض عليه انه يتساهل مع بريطانيا ان ساعدته في تنفيذ مشروعه في اعطائها مصر وكريت، ولكن بريطانيا كانت ترى انه من الاولى معالجة هذا المريض و تعهده بالعناية حتى ينقذ من مرضه، وكان الدافع وراء موقف بريطانيا هذا هو الخوف من امتداد نفوذ روسيا في الشرق واحتلالها للاستانة [٣٥].

وسعى القيصر نيقولا الاول في الاتفاق مع بريطانيا الى تقسيم الدولة العثمانية بين دولته وبينها فتحادث – في هذا الصدد كثيرا – مع السير هاملتون سيمور (Hamilton Seymour) سفير بريطانيا في العاصمة الروسية سان بطرسبورغ،

ولكنه لم يفلح لان بريطانيا كانت تعلم ان الدول الاوروبية الاخرى لا ترضى بامر خطير كهذا وان تقسيم الدولة العثمانية ليس بالامر السهل وأنه في حال وقوعه فانه يجر المصائب الكبيرة على الجميع، فضلاً عن ان ذلك التقسيم لا يفيد ـ في حقيقة الامر ـ غير روسيا [٣٧].

وعاد القيصر نيقولا الاول الى موضوع " **الرجل المريض** " في العام ١٨٥٢ كما حدث في العام ١٨٤٤، اذ سعت سياسة القيصر نيقولا الاول تلك انهيار الحكم العثماني ،وفضل القيصر الوصول الى هذه النتيجة دون ان تتعرض سياسته الى اخطار جسمية ـ اي حصول الموافقة الودية على الاقل من احدى الدول العظمى التي كانت مصالحها تتعارض مع مصالح روسيا ـ وقد اكد القيصر في احدى مذكراته التي كتبها في اوائل العام ١٨٥٣ على خطته بشأن التدخل في الدولة العثمانية بالقول: **((فأذا ما وافقت الحكومة العثمانية، فسيكون لروسيا الوسيلة لكي تمارس نفوذاً متفوقاً في الدولة العثمانية، واذا لم توافق الاخيرة فستقوم روسيا بالحرب وتستولي على المضايق وتقضي على الدولة العثمانية))** [٣٨].

وفي اللقاء الذي تحقق بين القيصر والسفير البريطاني اللورد سيمور (Lord Seymour) في شباط من العام ١٨٥٣، لم يذكرالقيصر – ابدا – كلمة الاستانة او المضايق، ولكنه عرض على بريطانيا العظمى مصر وكريت، لكنه عاد الى فكرة تقسيم المضايق بين النمسا و روسيا، اذ اقترح انشاء حماية مشتركة على البلقان ارضاءاً للحكومة النمساوية، وتخلى عن انشاء منطقة نفوذ روسية متفوقة[٣٩].

وعلى هذا الاساس، رفضت بريطانيا المشروع الروسي بشأن تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية الذي عرضه القيصر نيقولا الأول على السفير البريطاني في بطرسبورغ، ذلك المشروع القائم على اساس طرد العثمانيين من شرق اوروبا وأنشاء ولايات مسيحية في

البلقان تحت حماية روسيا وجعل القسطنطينية والمضايق محايدة ويكون نصيب بريطانيا مصر وقبرص وكريت [٤٠].

ويبدو ان فكرة بريطانيا قد ارتكزت على المحافظة على ميزان القوى الدولي في العالم، اذ لا تقبل ان تتوسع روسيا على حساب الدولة العثمانية لتكون دولة قوية ذات امكانات ارضية واقتصادية فضلاً عن امتلاكها القدرات البشرية اصلاً، ومن ثم يجعلها متحكمة بشؤون القارة الاوروبية وباقي المستعمرات، لذلك سعت بريطانيا والدول الاوروبية الكبيرة الى تحديد قوة روسيا وتحقيق التوازن الدولي في العالم.

اما الموقف الفرنسي من ذلك التقسيم، فلم يكن في صالح فرنسا سيطرة روسيا على الشرق الادنى لطموحات الامبراطور نابليون الثالث في التوسع واعلاء شأن الامبراطورية الفرنسية والحفاظ على هيبة فرنسا في الشرق واعتماد الامبراطور على الحزب الكاثوليكي الذي عارض سيطرة الارثوذكس على الاراضي العثمانية، فضلا عن ذلك شعور الامبراطور نابليون الثالث بحاجته الى حرب ناجحة لتوحيد فرنسا واحساسه بضرورة منح الشعب الفرنسي ما يتوقعه من مجد باسم نابليون الثالث [٤١].

وبذلك كشفت حرب القرم النقاب عن ضعف روسيا، فان فرنسا وبريطانيا على الرغم من ضعف قوادهما وقواتهما المتواضعة تمكنتا من اذلال الحكم العسكري المطلق وقهره في روسيا المتجسد بشخصية القيصر نيقولا الاول [٤٢].

اما النمسا فقد كانت تنظر الى النفوذ الروسي المتزايد في البلقان مما يهدد مصالحها، لان ذلك سيؤدي الى نسف سلطتها على الشعوب السلافية الخاضعة لإمبراطورية النمسا– المجر وهي تملك طموحات في السيطرة على شبه جزيرة البلقان وقد ايدتها بروسيا في ذلك [٤٣].

ومن خلال تلك المواقف الدولية، أتسم موقف الدول الاوروبية بالعداء لتلك السياسة الروسية تجاه الدولة العثمانية، فضلاً عن ذلك فأن نظرة الشعوب الاوروبية المعادية

للحكم القيصري في روسيا بسبب مواقفه المتشددة ضد الحركات الثورية في اوروبا' قد أسهمت في أفشال سياسة القيصر تجاه الدولة العثمانية [٤٤].

وبعد عرض شروط [٤٥] الدولة العثمانية في مسألة الحرب على سفراء بروسيا وامبراطورية النمسا – المجر وفرنسا في العاصمة فيينا قبلوها وصادقوا عليها وكلفوا حكومة النمسا بتبليغها لروسيا في الثالث عشر من كانون الثاني من العام ١٨٥٤ ، وبقيت الدول منتظرة الرد الروسي على انذار فرنسا وبريطانيا **اولا** وعلى مذكرة الدول الاربع **ثانيا** ، لكن القيصر نيقولا الاول كان لا يزال مؤهلا مساعدة بروسيا وامبراطورية النمسا – المجر ، فارسل مبعوثين الى برلين وفيينا ليطلبه من الحكومتين البروسية و النمساوية البقاء على الحياد خلال الحرب وبالمقابل طلبت حكومتا برلين والنمسا مقابل حيادهما بعدم عبور القوات الروسية نهر الدانوب ولكن وجدت روسيا ان قبولها لطلب يضر بها ضرراً كبيراً في الحرب فرفضته [٤٦] .

رفضت امبراطورية النمسا – المجر الوقوف على الحياد في الحرب، كما رفضت بروسيا ايضاً طلب روسيا على الرغم من قرابة القيصر نيقولا الاول من ملكها، وبذلك ايقن القيصر انه لا نصير له بين دول اوروبا وان بلاده ستحارب الدولة العثمانية وحدها، فرفض مذكرة الدول الاربعة التي ارسلت اليه في الثالث عشر من كانون الثاني من العام ١٨٥٤، واجاب على رسالة بعثها اليه الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث ونصحه فيها بقبول مطالب الدول الاربعة، قائلاً :- ((**ان شرف روسيا يحتم عليها الحرب**))، وبذلك بقي القيصر نيقولا الاول مصراً على موقفه لا يأبه لنتائج الحرب على بلاده [٤٧].

على عكس توقعات القيصر نيقولا الاول، لقيت السياسة الروسية الخارجية مقاومة مشتركة من جانب بريطانيا العظمى وفرنسا، فالحكومة البريطانية ـ على الرغم من عدم استقرارها السياسي ـ كانت قد رفضت باستمرار أن تفكر في أضمحلال الدولة

العثمانية وتقسيمها، لذلك ليس من السهل عليها الموافقة على ترك روسيا تحصل على نفوذ متفوق في الدولة العثمانية [٤٨].

وفي اواخر كانون الثاني من العام ١٨٥٢، اصدرت الدولة العثمانية قراراً يرضي – الى حد كبير – مطالب القيصر نيقولا الاول والارثوذكس ويمنح الكاثوليك حقاً في اضاءة شمعة هيكل السيدة العذراء، وكان هذا الهيكل في يد الارثوذكس ولم يكن للكاثوليك في بيت المقدس أي حق فيه، وبأن يكون في يدهم مفتاح لأحد أبواب كنيسة بيت لحم [٤٩]. وعلى اثر ذلك احتجت فرنسا بينما قبلت روسيا القرار وطلبت اصدار فرمان سلطاني به، فصدر الفرمان في الثامن من شباط من العام ١٨٥٢ [٥٠].

فجدد السفير الفرنسي في الاستانة لافاليت (La Valette) احتجاجه وحاول الباب العالي ارضاء الفريقين معاً، فأرسل مذكرة الى لافاليت يؤكد فيها تمسك الدولة العثمانية بمعاهدة العام ١٧٤٠ وحرصها على احترام حقوق الرهبان الكاثوليك في الاماكن المقدسة [٥١].

ولكن القيصر نيقولا الاول طلب الغاء اعتراف الباب العالي باستمرار معاهدة العام ١٧٤٠، فرد الباب العالي طلبه قائلاً: ((**ان الاعتراف وعدمه من الشؤون العثمانية التي لا كلمة فيها لدولة اجنبية .. وانه يعجب كل العجب لتدخل القيصر الروسي في امور لا شأن له فيها لانها تتعلق بسيادة السلطان وحريته المطلقة في حكم رعاياه**)) فأغضب ذلك الرد القيصر نيقولا الاول، وقرر أمام موقف فرنسا القوي فيما يخص حقوقها في الاراضي المقدسة القيام بمناورات حربية على الحدود العثمانية وارسال بعثة منشكوف (Menschikov) الى الاستانة لانتزاع معاهدة جديدة لا تقل في اهميتها عن معاهدة اونكيار سكلسي [٥٢] .

كانت المسألة الشرقية قائمة على محو الدولة العثمانية، ولكن الدول التي تعنيها تلك المسألة لم تكن متفقة على طريقة التنفيذ، ولم تكن على اتفاق في العجلة أو

التأني، ولم تكن على اتفاق بينها في نصيب كل منها من تركة " **الرجل المريض** " كما سميت الدولة العثمانية في ذلك الحين [٥٣].

فروسيا كانت تتعجل التقسيم لتحتل الاستانة ومضايق البسفور والدردنيل، وفرنسا كانت تتوسط بين العجلة والتأني، لانها كانت تكتفي بلبنان وسورية وبيت المقدس، ولا تحرص على تقويض الدولة العثمانية من رأسها، أما بريطانيا كانت تطمح الى طريق الهند، ولاتأبى عند الضرورة أن تساعد فرنسا لتستعين بها على صد روسيا والحيلولة بينها وبين بلاد البحر المتوسط، وحاولت كل منها أن تتخذ لها صفة الرعاية لجميع المسيحيين بالديار الشرقية، اذ كانت روسيا وفرنسا قد حصلتا على اعتراف السلطان العثماني بهذه الصفة، أولاهما لرعاية الكنيسة الاغريقية والاخرى لرعاية الكنيسة اللاتينية، فحاولت بريطانيا في أواخر القرن التاسع عشر أن تضيف الى التاج لقب الحارس للديانة الممسيحية، ولكن المسيحيين أنفسهم في الشرق الادنى لم يعترفوا لها بتلك الصفة لان أتباع الكنيسة الانكليزية كانوا يومئذ قليلين جداً بين الشرقيين [٥٤].

مع كل هذه المواقف التي سارت عليها الدول الاوروبية تجاه سياسة القيصر نيقولا الاول الرافضة للتدخل الروسي في الدولة العثمانية، الامر الذي جعلها تكوين تحالفا عسكريا ضد القيصر نيقولا الاول وخوض معارك ضد جيشه الذي مني بهزيمة كبيرة، لم يتحمل القيصر نيقولا الاول تلك الهزيمة لقواته في حرب القرم، اذ نقل بعضهم أنه تناول السم ومات في الخامس من آذار من العام ١٨٥٥[٥٥] ودفن الامبراطور نيقولا الأول في كاتدرائية بيتروبافلوفسك في بطرسبورغ، وحل محله على العرش الروسي ابنه الكسندر الثاني [٥٦].

الخاتمـة

يتضح مما ورد في معلومات البحث أن السياسة الخارجية للقيصر الروسي نيقولا الاول في المدة بين عامي ١٨٥٣– ١٨٥٥ والتي شهدت اندلاع حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية قد اتسمت بالتوسع والحصول على بعض الاطماع الخارجية، لاسيما في ممتلكات الدولة العثمانية التي وهنت في عهدها الاخير وضعفت، الامر الذي دفع الدول الاستعمارية الكبيرة الى اطلاق تسمية " **الرجل المريض** " عليها، وقد اسهم ذلك الوهن والضعف في استغلال الموقف من لدن القيصر نيقولا الاول الذي رسم الى شن حربا عليها سميت بـ " **حرب القرم** " ، وعلى أثرها تدخلت بعض الدول الاوروبية الكبيرة لغرض الوقوف الى جانب الدولة العثمانية من أجل تحقيق التوازن الدولي، وتحديد الاطماع الروسية في ممتلكات الدولة العثمانية وكبح جماح القيصر الروسي وتطلعاته في الوصول الى المياه الدافئة التي كانت من اولويات اهداف السياسة الروسية الخارجية.

لم تكن سياسة القيصر نيقولا الاول مدروسة وتصرفاته كانت غير صحيحة، ولم يكن يحسب حساب للدول الاستعمارية الكبيرة في اوروبا فقد تجاهل سياسة بريطانيا التي كانت قائمة على تأييد الدولة العثمانية والوقوف في وجه التطلعات الروسية، لأن النفوذ الروسي في البحر المتوسط يهدد مصر والطريق الى الهند التي تعد من أهم مستعمرات بريطانيا. وفي الوقت نفسه اغفل القيصر نيقولا الاول سياسة فرنسا الخارجية متجسدة بطموحات الامبراطور نابليون الثالث في التوسع واعلاء شأن امبراطوريته والحفاظ على هيبة فرنسا في الشرق. وفي السياق نفسه فقد تجاهل القيصر نيقولا الاول الصراع الازلي بين روسيا وامبراطورية النمسا– المجر على دول البلقان ومحاولة كل منهما السيطرة على هذه الدول وضمها لها بذريعة حماية شعوبها السلافية في الظاهر، لكن في حقيقة الامر هدف ذلك الصراع الى التوسع على حساب تلك الدول البلقانية والسيطرة على ثرواتها والحصول على المكتسبات الارضية فيها.

المصادر والهوامش

(1) " Encyclopedia Americana" , Vol.20, Grolier Incorporated , U.S.A., 1988, PP.313-314.

(2) Ibid,P.314.

(٣) القيصر الكسندر الاول: ولد في العام ١٧٧٧، إمبراطور روسيا الرابع عشر. تولى مقاليد الحكم بعد يوم واحد من اغتيال والده ولكنه كان حاكما محبوبا وله جماهيرية وحضور في أوساط الشعب بسبب أفكاره الليبرالية التحررية واكتراثه بطبقة الفلاحين كما أنه أسس نظاما تعليميا شاملاً. عمل على مناهضة القنانة (عبودية الأرض) لكنه لم يكن قادرا على الغائها. وفي عهده تمّ السماح باستيراد الكتب من أوروبا وإنشاء مطابع خاصة، كما أُسّس مجلس الشيوخ الذي كان بمثابة هيئة رقابية وقضائية في منظومة إدارة الدولة، كما تم تكليف أحد كبار المسؤولين بإعداد مسودة الدستور الروسي. ولكن بعد الانتهاء من إعداد هذا الدستور تقرر تأجيل إصداره. اتسمت سياسته الخارجية بالعدالة وحاول اقامات علاقة صداقة مع فرنسا وبريطانيا لكنه أعلن الحرب على نابليون بونابرت سنة ١٨٠٤. دفع الغزو الفرنسي لروسيا في العام ١٨١٢ المعارضة إلى الالتحاق بالقوات الثورية. في النهاية عمل ألكسندر مع حلفاءه على هزيمة نابليون وهذا ما تم له في مؤتمر فيينا عام ١٨١٥. توفي في العام ١٨٢٥، وخلفه شقيقه القيصر نيقولا الأول. ينظر: آلان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث (١٧٨٩ – ١٩٤٥)، ترجمة: سوسن فيصل السامر و يوسف محمد امين،ج١، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٢، ص ٣٨-٤٠.

(٤) الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنت)، على الموقع: http://en.wikipedia.org

(5)The New Caxton Encyclopedia, The Caxton Publishing Company Limited, Vol.4, London,1977,P.4386.

(٦) هـ.أ.ل. فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩– ١٩٥٠)، تعريب: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط ٩، دار المعارف، د.م. ، د.ت.، ص ٢١٨.

(٧) الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، على الموقع: http://en.wikipedia.org

(٨) آلان بالمر، المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٩) الشعوب السلافية: هي الشعوب التي يتحدث أهلها اللغات السلافية الشرقية. ونزحت ـ سابقًا ـ الكتلة السكانية الرئيسة للدولة في القرون الوسطى من روسيا وعاصمتها كييف، والمسمّاة روسيا الكييفيّة، وبحلول القرن السابع عشر تطورت هذه الكتلة البشرية إلى الشعوب الروسية والأوكرانية، والبيلاروسية.

(١٠) الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنت)، على الموقع:http://en.wikipedia.org

(١١) محمد محمد صالح وآخرون، تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص ١٩٦ –١٩٧.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٩٧–١٩٨.

(١٤) السلطان عبد المجيد الاول: (١٨٢٣ – ١٨٦١)، السلطان العثماني الحادي والثلاثين والثالث والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة. وهو ابن السلطان محمود الثاني، تولى السلطنة وله من العمر ١٧ عامًا؛ تمكنت الدولة في عهده من الانتصار في حرب القرم، واستعادة سوريا العثمانية من حكم محمد علي باشا، وأدخل إصلاحات عديدة في القوانين العثمانية، وقوّى سلطة الحكومة المركزية مقابل انحلال الولاة السابق، سيرًا على نهج أسلافه بدءًا من سليم الثالث الإصلاحي؛ بنى قصر طولمه بهجة، واتخذه مقرًا لحكمه، كما رمم المسجد النبوي في المدينة المنورة. ينظر:

(١٥) خطي شريف كولخانة: كان ذلك الخط معنونا باسم " التنظيمات الخيرية " ، ففي يوم الاحد الموافق الثالث من تشرين الثاني من العام ١٨٣٩ ، قرأ الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا خط كولخانة على مسمع السلطان عبد المجيد وامام جموع المدعوين من الوزراء والعلماء وكبار رجال الدولة والسفراء الاجانب لقصر كولخانة . واهم ماورد في خط كولخانة : وعد السلطان باصلاح الادارة والقضاء، اذ انتزع ذلك الخط من نفوس الولاة الجرأة على القتل والمصادرة، كما أمر السلطان باجراء القرعة العسكرية الشرعية ، وبجباية الاموال وتوزيعها بمقتضى احكام الشرع والغاء اصول الالتزام، والقضاء على الرشوة، كما وعد السلطان باستمرار الاصلاح في الدولة العثمانية عن طريق التنظيمات والقوانين، واكد على احترام تلك القوانين واعطى العهد والميثاق بعدم مخالفتها. وبذلك تنازل السلطان عن جزء من سلطته لمجلس الاحكام العدلية الذي اصبح من حقه سن القوانين على ان يصادق عليها السلطان . وأمر السلطان ان يعمم خط كولخانة على جميع الولايات وابلاغه لسفراء الدول الاجنبية رسمياً. ينظر : عبد العزيز محمد عوض ، الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٠-٢٢.

(١٦) عبد العزيز سليمان نوار، اوروبا من الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية ١٧٨٩-١٨٧١، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٧٦؛ زهراء حميد خليل البحراني، الامتيازات الاجنبية في بلاد الشام في العهد العثماني في اواسط القرن الثامن عشر الى الحرب العالمية الاولى ١٧٥٠-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٦، ص٢٨-٣٢.

(١٧) محمد محمد صالح وآخرون، المصدر السابق، ص ١٩٩.

(١٨) عمر عبد العزيز عمر، محمد علي القوزي، دراسات في تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر ١٨١٥- ١٩٥٠، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٠٣.

(١٩) التي كان على رأسها وقتئذ رشيد باشا .

(٢٠) ساهرة حسين محمود العامري، اوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالعزيز ١٨٦١-١٨٧٦ (اصلاحاته والتطورات في البلقان)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٠، ص٣٩، هاشم التكريتي، دبلوماسية حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦)، مجلة المورخ العربي، العدد ٣٦، بغداد، ١٩٨٨، ص١٠٩.

(٢١) الجبل الاسود: امارة صغيرة تقع في الشمال الغربي من الدولة العثمانية، تبلغ مساحتها ٣،٦٣٠ ميلا مربعاً وبلغ عدد سكانها انذاك ٣٠٠،٠٠٠ نسمة في بداية القرن العشرين، واغلب اراضيها جبال مرتفعة وهضاب عالية تكون غالبا مكسوة بالغابات واشهر بلاد الجبل الاسود سيتنية Sitnih (عاصمة الجبل) وانتيفاري (Antivari) ولسينو (Lcino) وبودغورنتزا (Bodgurrentza) . ينظر: عبد الغفار محمد، الدولة العلية واليونان، القاهرة، د.ت، ص ٩٢-٩٣.

(٢٢) طالب محيبس الوائلي، حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦ قراءة في اسبابها ونتائجها، مجلة العلوم الانسانية، الديوانية، العدد ٨، نيسان ٢٠٠٤، ص٦.

(٢٣) نابليون الثالث : ولد في باريس في العام ١٨٠٨. وهو ابن لويس بونابرت ملك هولندا وأخو نابليون الأول. نفى قانون فرنسي صدر عام ١٨١٦م أسرة بونابرت من فرنسا، وقضى لويس نابليون شبابه في إيطاليا وألمانيا وسويسرا. أصبح ربّ أسرته عام ١٨٣٢. ارتبط بمجموعات ثورية أمثال الكَربُونَاري في إيطاليا. حاول الإطاحة بحكومة لويس فيليب الملكية عام ١٨٣٦ في ستراسبورغ، وعاود محاولته في بولونيا عام ١٨٤٠م. سجن في حصن اسمه هام عقب المحاولة الفاشلة عام١٨٤٠، لكنه فر إلى بريطانيا في العام ١٨٤٦، وخلال تلك السنين كتب الأفكار النابليونية (١٨٣٩)، جاعلاً من سيرة عمه الشهير مثلاً، كما كتب انقراض الفقر ١٨٤٤، مقترحًا العمل على وضع حد للفقر والألم. وعندما أدت ثورة

١٨٤٨م إلى ظهور الجمهورية الفرنسية الثانية، رجع لويس نابليون وتم انتخابه في المجلس. وبفضل شهرته انتخب رئيسًا وفاز بخمسة ملايين ونصف المليون صوت من سبعة ملايين ونصف المليون مقترع. وأدى اليمين للجمهورية في العام ١٨٤٨ واستمر الى العام ١٨٥٢ وأصبح أمبراطورا لفرنسا في العام نفسه واستمر الى العام ١٨٧٠. توفي في ٩ كانون الثاني ١٨٧٣. تنظر:

(٢٤) Encyclopedia Americana",Vol.19,PP.734-735.

محمد محمد صالح وآخرون، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٢٥) الكسندر سيرجيفك مينشكوف : قائد عسكري ودبلوماسي روسي. ولد في سانت بطرسبورغ في العام ١٧٨٧. قاد القوات البرية والبحرية الروسية في حرب القرم، الا ان الهزائم المتتالية التي لحقت بقواته أجبرت الحكومة على اعفائه من قيادة القوات الروسية في شهر آذار من العام ١٨٥٥. توفي في العام ١٨٦٩. ينظر: منير البعلبكي، موسوعة المورد العربية، دائرة معارف ميسرة مقتبسة عن " موسوعة المورد "، اعداد: رمزي البعلبكي، مج ٢، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص ١١٥٧.

(٢٦) المؤلفات الكاملة لمصطفى كامل ، المسألة الشرقية، تحقيق: عبد الرزاق عيسى وعبير حسن، ج١، ط١، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص ٢٠٣.

(٢٧) سترافورد دي ردكليف: ولد في العام ١٧٨٦. أخذ لقبه عن طريق ابن عمه وزير الخارجية جورج كاننغ (Georg Canning) الذي عينه في وظيفة ثانوية في وزارة الخارجية لعدم حصوله على شهادة عليا. قضى حياته في الاستانة، فقد كان مسؤولاً عن المصالح البريطانية في مدة أربع وعشرين عاماً فيها. شغل منصب وزير مفوض في سفارة بلاده في واشنطن بين عامي ١٨٢٠-١٨٢٤. عمل بصفته مستشار غير رسمي للسلطان العثماني. توفي في سنة ١٨٨٠. ينظر: أحمد حافظ ابراهيم العزاوي، موقف السلطان عبد الحميد الثاني من سياسة واجراءات مدحت

باشا(١٨٤٦-١٨٨٤)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٧، ص ١٣.

(٢٨) معاهدة (كجك كينارجي): دخلت الدولة العثمانية في حرب طاحنة دامت ست سنوات مع روسيا ١٧٦٨ – ١٧٧٤، مُنيت فيها الدولة العثمانية بهزائم أليمة، أجبرتها على عقد معاهدة مخزية في ٢١ تموز من العام ١٧٧٤، وهي المعروفة باسم معاهدة "كجك كينارجي"، وسميت بهذا الاسم نسبة الى قرية تسمى بـ (النافورة الصغيرة) التي تقع على حدود بلغاريا. وتحققت في هذه المعاهدة آمال الروس بأن تحوّل البحر الأسود من بحرية عثمانية خالصة إلى بحيرة عثمانية روسية، وأصبحت الملاحة الروسية تتمتع بحُرّية التنقل في البحر الأسود دون قيد أو شرط. كما تضمنت المعاهدة أن تدفع الدولة العثمانية غرامة لروسيا قدرها ١٥٠٠ كيس من الذهب، وأن يحصل الروس على حق رعاية السكان الأرثوذكس في البلاد العثمانية، وكان من شأن هذا البند أن تتدخل روسيا في شؤون الدولة العثمانية بصورة مستمرة. ينظر: انمار عبد الجبار جاسم الدوري، العلاقات الروسية العثمانية (١٨٢٨-١٨٤١)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠١٠، ص ١٨؛ كارل براون، السياسة الدولية والشرق الاوسط، ترجمة: عبدالهادي حسين جياد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٧، ص ٣٣.

(٢٩) محمد محمد صالح وآخرون، المصدر السابق ، ص ١٩٩.

(٣٠) المؤلفات الكاملة لمصطفى كامل، ج١، ص ٢٠٤.

(٣١) محمد محمد صالح وآخرون، المصدر السابق ، ص ١٩٩.

(٣٢) المسألة الشرقية: أختلف المؤرخون في تعريف المسألة الشرقية، فمنهم من قال هي النزاع الذي دار بين الشرق والغرب في جميع العصور التاريخية فشمل حروب الفرس واليونان والرومان والعثمانيين، بينما عرفها بعضهم الآخر هي تحفيز

القوميات المضطهدة من لدن الدولة العثمانية في الجانب الاوروبي على الاستقلال والحروب مابين روسيا والدولة العثمانية التي ظهرت في عهد القيصر بطرس الاكبر وكاثرين الثانية، ثم ظهرت دولة أوروبية أخرى في منتصف القرن التاسع عشر تقاوم التوسع الروسي مثل فرنسا التي صارعت من أجل الاماكن المقدسة، كذلك بريطانيا التي منعت التوسع الروسي في البحر المتوسط واتجاه النمسا بالتوسع جنوباً بعد أن أوقفتها البانيا شمالاً وايطاليا وفرنسا غرباً. ينظر: حسن لبيب، تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٢١، ص ٢٢٣؛ مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الاولى(١٧٨٩-١٩١٤)، ج٣، دار أسامة، عمان-الاردن، ٢٠٠٤، ص ٧٩٢-٧٩٣.

(٣٣) محمد محمد صالح وآخرون، المصدر السابق، ص ١٩٨.

(٣٤) المؤلفات الكاملة لمصطفى كامل، ج١، ص ٢٠٤.

(٣٥) محمد محمد صالح وآخرون، المصدر السابق، ص ١٩٨.

(٣٦) بير ريتوفان، تاريخ العلاقات الدولية (القرن التاسع عشر) ١٨١٥-١٩١٤ ، تعريب:جلال يحيى،دار المعارف،١٩٨٠،ص ٣٠٥.

(٣٧) المؤلفات الكاملة لمصطفى كامل،ج١، ص٢٠٧.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(٣٩) بيير ريتوفان، المصدر السابق، ص ٣٠٧.

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٣٠٨.

(٤١) محمد محمد صالح وآخرون، المصدر السابق، ص ١٩٩.

(٤٢) جرانت وتمبرلي، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩- ١٩٥٠،ج١، د.م. ، د.ت. ، ص ٥.

(٤٣) تضمنت تلك الشروط : اولا اعلان استقلال بلادها واراضيها و ضمانة دول فرنسا وبريطانيا وامبراطورية النمسا والمجر و بروسيا لهذا الاستقلال . ثانيا / اجلاء القوات الروسية من مقاطعتي الافلان والبغدان . ثالثا / تجديد الضمانات المقدمة من اوروبا للدولة العثمانية من العام ١٨٤١ .

(٤٤) المؤلفات الكاملة لمصطفى كامل ، ج١ ، ص ٢١٣.

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٣.

(٤٦) بيير ريتوفان، المصدر السابق، ص ٣٠٩-٣١٠.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٣١٠.

(٤٨) عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٥١) عباس محمود العقاد، الاسلام في القرن العشرين: حاضره ومستقبله، ط١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت. ، ص ٥١.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٥١-٥٣.

(٥٣) ذكرت بعض المصادر ان وفاة القيصر نيقولا الاول في ١٨ شباط من العام ١٨٥٨.

(٥٤) الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنت)،على الموقع: http://en.wikipedia.org

(٥٥) آسيا الصغرى: وتسمى ايضاً بـ " الأناضول " Anatolia – وهي شبه جزيرة تقع فى أقصى غرب قارة اسيا ، يحيطها البحر الاسود من الشرق والبحر المتوسط من الجنوب وبحر ايجه من الغرب. ويصل بحر مرمره ومضايق البسفور والدرنيل البحر الاسود ببحر ايجه. تكون اسيا الصغرى هضبة الاناضول وهى هضبة عالية تقع جوارها جبال منها جبال طوروس فى الجنوب. تنظر:

(٥٦) محمد محمد صالح وآخرون، المصدر السابق، ص

(٥٧) ويكيبديا – المعرفة

(٥٨) ويكيبديا

(٥٩) ويكيبديا

(٦٠) عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي، المصدر السابق، ص ١٠٤ .